بما في نفسه قبل ان يتكلم به وابرزه في خبر الاستفهام التحقيري مبالغة في ايضاح الحال
عليه واحاطته به وفي رواية لاحمد اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا لا اريد ان ادع شيا
من البر والاثم الا سالت عنه فقال يا وابصة اخبرك بما جيت تسال عنه او تسالني عنه قلت
يا رسول الله اخبرني قال جيت تسال عن البر والاثم قلت نعم قال فجمع اصابعه الثلاث فجعل ينكت
بها في صدري ويقول يا وابصة استفت نفسك الحديث **قال استفت قلبك** وفي رواية
استفت نفسك اي عول على ما فيه لما ان للنفس شعورا بما تحمد عاقبته فيه وا تذم ثم ذكر له
ضابطا يميز به الجائز من غيره بقوله **البر ما اطمانت** اي سكنت **عليه** وفي رواية اليه **النفس واطمان**
اليه القلب لانه تعالى فطر عباده على معرفة الحق والسكون اليه وقبوله وركز في الطباع محبته
ومن ثم جا كل مولود يولد على الفطرة الحديث قال ابو هريرة اقروا ان شئتم فطرة الله التي
فطر الناس عليها واخبر تعالى ان قلب المومن يطمين بذكره ويسكن اليه لما انه انشرح وانفسح بنور
الايمان فلذا رجع اليه عند الاشتباه فما سكن اليه فهو البر وما لا فهو الاثم والجمع بينه وبين
النفس للتاكيد لما ان طمانينة القلب من طمانينة النفس وهذا مطابق لقوله اولا البر حسن
الخلق لان حسنه تطمين اليه النفس والقلب ولانه قد يراد به التخلق باخلاق الشريعة والتادب
بادابها ومن ثم قالت عايشة رضي الله عنها كان خلقه صلى الله عليه وسلم القران يعني انه يتادب
باداب فيفعل اوامره ويجتنب نواهيه فصار له العمل به خلقا كالجبلة والطبيعة وهذا اكمل
الاخلاق وقد قيل ان الدين كله خلق **والاثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر** اي القلب
كما مر والجمع بين هذين تاكيد ايضا وبه علم ضابط الاثم والبر وان القلب يطمين للعمل الصالح طمانينة
تنشرح بامن العاقبة ولا يطمين للاثم بل يورثه نفرة وتنكرا وحزازة لان الشرع لا يقر عليه
وانما يكون على وجه بشذ او تاويل محتمل لكي يظهر معياره بما مر من انه الذي يكره اطلاع الناس عليه
ولم يزل هذا ظاهرا مرويا ومن ثم قال زهير الستر دون الفاحشات ولا يلقاك دون الخير من
ستر **وان** غاية لمقدر دل عليه ما قبله اي فالتزم العمل بما في قلبك وان **افتاك الناس** اي علماوهم
وهم كما رواية وان افتاك المفتون **وافتوك** بخلافه لانهم انما يطلعون على ظواهر الامور دون
بواطنها والمراد قد اعطيتك علامة الاثم فاعتبرها في اجتنابه ولا تقبل من افتاك بمقارفته وهل
ذلك الا ان كان المستفتي ممن شرح الله صدره وافتاه غيره بمجرد ظن او ميل الى هوى من غير دليل شرعي
والا لزمه اتباعه وان لم ينشرح له صدره ومن ثم كره صلى الله عليه وسلم امتناع قوم امرهم بالفطر في السفر

اذ ماورد به

اذ ما ورد به النص ليس للمومن فيه الا طاعة الله تعالى ورسوله فليقبله بانشراح صدره قال تعالى
ثم لا يجدوا في انفسهم **حرجا** مما قضيت ويسلموا تسليما واما ما لا نص فيه بنبيه صلى الله عليه وسلم ولا ممن
تقتدى بقوله فاذا وقع منه شي في قلب ينشرح بنور المعرفة واليقين مع تردد ولم يجد من يفتي فيه
الا من يخبر عن رايه وهو غير اهل لذلك رجع لما افتاه به قلبه وان افتاه هذا وامثاله بخلافه والظاهر ان
هذا ليس من الالهام المختلف في حجيته لانه شي يقع في القلب من غير قرينه ولا استعداد فينثلج
له الصدر واما ما هنا فهو تردد منشاه قراين خفيه او ظاهره لان الغرض ان الامر اشتبه وان
القلب مال الى انه اثم فليرجع اليه فيه كما دلت عليه النصوص النبوية وفتاوى الصحابة رضي الله
تعالى عنهم وانما وحد الفعل الاول لاسناده الى ظاهر وجمع الثاني لاسناده الى ضمير والاصل فيه
ان الفعل انما يكون له فاعل واحد فان كان ظاهرا امتنع اتصال ضميره بالفعل واما واسروا النجوى
الذين ظلموا فمن باب البدل من الضمير لا من باب تعدد الفاعل وهو غير جايز قيل بين هذا وما
من حديث الحلال بين والحرام بين تعارض لاقتضا هذا ان الشبهة اثم لانه يتردد في النفس وما
ذاك يقتضي انه غير اثم وجوابه حمل هذا على ما تردد في الصدر لقوة الشبهة ويكون من باب ترك
اصل الحل الظاهر قوي ومر مثله في شرح ذاك الحديث وذاك على ما ضعفت فيه الشبهة فيبنى على
اصل الحل وتجتنب محل الشبهة ورعا واجيب بغير ذلك مما لا يصح فاجتنبه وفي جوابه صلى الله عليه
وسلم لوابصة بهذا الاشارة الى متانة فهمه وقوة ذكايه وتنوير قلبه لانه صلى الله عليه وسلم احاله
الادراك القلبي وعلم انه يدرك ذلك من نفسه اذ لا يدرك ذلك الا من هو كذلك واما الغليظ
الطبع الضعيف الادراك فلا يجاب بذلك لانه لا يتحصل منه على شي وانما يفصل له ما يحتاج
اليه من الاوامر والنواهي الشرعية وهذا من جميل عاداته صلى الله عليه وسلم مع اصحابه فانه كان يخاطبهم
على قدر عقولهم ومن ثم قالت عايشة رضي الله عنها امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ننزل الناس منازلهم
هذا **حديث صحيح** وفي نسخة حسن **رويناه** بسندنا المتصل حال كونه **في مسندي الامامين** الجليلين
محدثا وفقيها وغيرهما ابي عبد الله **احمد بن حنبل** احد الفقها المجتهدين والايمة المتبوعين روى عن ائمة
وعنه ائمة كالبخاري ومسلم وابي داود وابنيه مات في ربيع الاول سنة احدى واربعين ومائتين عن
سبع وسبعين سنة ومسنده فيه اربعون الف حديث وقيل ثلاثون تكرر منها عشرة جمعه من سبعمائة الف
وخمسين الف حديثا وقال جعلته حجة بيني وبين الله تعالى وقال وما اختلف المسلمون فيه من حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم فارجعوا اليه فان وجدتموه فيه والا فليس بحجة وهذا يدل على امامته بالسنة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)